الخطاب الدعوي عند علماء الإعجاز العلمي في الإسلام بين العلميّة والغلو

كتبه

د. صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح

وكيل كلية الدعوة وأصول الدين للتطوير الأكاديمي وخدمة المجتمع

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

طباعة القطان

المقدمـــــة

كان الخطاب الدعوي وسوف يستمر بحول الله خطابا متميزا ومبدعا، على الرغم مما أصاب العالم العربي والإسلامي من مراحل ضعف وفترات خمول، ولا يمكن للمرء المتابع للخطاب الدعوي منذ العهد النبوي إلا أن يقر بما يتضمنه ذلك الخطاب من روعة وتميز، قد لا يكون المسلمون كذلك في أفعالهم، لكن بعد مجيء الإسلام حصل انقلاب علمي وفكري في المجتمع البشري، فبعد الضعف العلمي لدى العرب في مرحلة ما قبل الإسلام أضحى العرب المسلمون هم قادة العالم فكريا وعلميا، حيث أكسبهم الدين الجديد (الإسلام) تميزا علميا فاقوا به أمم الأرض على الرغم من سبق تلك الأمم إلى ميادين العلم والفكر والثقافة، وغرق العرب قبل الإسلام في بحور الجهل.

هذه القفزة التي حصلت للعرب بعد الإسلام أكسبتهم الكثير، لاسيما وأن الثقافة الإسلامية تميزت عن بقية الثقافات في العالم بميزة رائعة وهي: ربانية الثقافة والمعرفة،

فمصدرها إلهي، وهذا يعطيها كمالا وصدقية قد لا تمتلكها الثقافات الأخرى، بالإضافة إلى قربها من الذات البشرية وقبولها لها، لأن مصدرها هو خالق الإنسان والأعلم بما يصلح له ويتوافق مع فطرته، كما منحت هذه الثقافة للعرب آفاقا رحبة وواسعة في مجال التفكير والإبداع، لاسيما مع جود مصدر من أروع مصادر المعرفة والعلم ألا وهو الوحي الذي غرس لدى العرب منهجية متميزة في التفكير، وبالتالي أنتج العقل المسلم من خلال تفاعله من الوحي الكثير والنافع من الأفكار والنظريات والأطروحات العلمية[1] التي انتفعت بها أمم الأرض وأولهم العالم الغرب الذي بنى حضارته التي يعيشها اليوم على أسس من ثقافتنا الإسلامية.

ولعل مما أكسبه الإسلام للمسلمين والعرب من تميز في الخطاب الذي أبدع فيه علماء إعجاز القرآن الكريم الذين أبدعوا في إظهار

---

(١)تجديد الفكر الإسلامي، الحسن العلمي: ص(٩) (ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة).

اللفتات الرائعة من خلال أبحاث علمية لما ظهر في ما جاء به الوحي من الإعجاز العلمي الذي بهر العقول وسلب الألباب، وذلك من خلال حديث الوحي عن أمور لم يدركها البشر إلا في قرونه الأخيرة، وعلى الرغم من أن بعض تلك الكشوفات العلمية توصل إليها علماء من الغرب إلا أن علماء الإعجاز العلمي في القرآن الكريم استطاعوا استغلالها وتوظيفها من خلال الخطاب المعاصر لنصرة الدين وبيان عظمته والكشف عن تميزه والدعوة إليه .

ويبقى العمل البشري على الإجمال عرضة للقصور والنقص، وهو يتمثل في ما أصاب خطاب بعض علماء الإعجاز العلمي في الإسلام أو المهتمين به من غلو وبعد عن العلمية؛ تتمثل بالتعجل في أمور قد لا يكون من السائغ التعجل فيها، ولعلي من خلال هذا البحث أن أتناول هذا الأمر بشيء من الحيادية لعلنا أن نصل إلى الاتفاق على أهمية أن يكون خطاب الدعوة بالإعجاز خطابا متعقل يولي العلمية كل عناية ويبعد كل البعد عن العاطفة غير المنضبطة

التي تؤدي في بعض الأحيان إلى نتائج عكسية لما يهدف إليه الباحث أو صاحب خطاب الإعجاز.

وسيكون البحث وفق ما يلي:

التمهيد: وفيه تعريف الإعجاز وأهمية الإعجاز العلمي في الإسلام.

المبحث الأول: مظاهر الغلو في خطاب علماء الإعجاز.

المبحث الثاني: من أسباب الغلو في خطاب علماء الإعجاز.

المبحث الثالث: أهمية دراسة الإعجاز وتوظيفه في الدعوة إلى الله تعالى.

ثم الخاتمة، وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

تمهيـــــد :
تعريف الإعجاز وأهميته في الإسلام

أولا: تعريف الإعجاز العلمي:

الميم والجيم والزاء أصل صحيح يدل في اللغة على الضعف، يقال: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه[1]، والتعجيز التثبيط والنسبة إلى العجز ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة[2].

وفي الاصطلاح: هو قصور القدرة البشرية عن محاكاة القرآن والإتيان بمثله[3]، ولعل هذا ظاهر أنه في جانب البيان والنظم -إن صح التعبير- ولا يشمل بقية جوانب الإعجاز، والمراد هنا الإعجاز العلمي حيث يعرفه بعض الباحثين على أنه: توسيع مدلول الآيات

---

(١)معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي: (٢٢١/٢) (ط١، ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت).

(٢)القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: ص(٦٦٣) (ط٢، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت).

(٣)الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي: ص(٥٢-٥٣) (ط د، ١٩٨٠م، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس).

القرآنية وتعميق معانيها في الوجدان والفكر الإنساني بالانتفاع بالكشوف العلمية المعاصرة في توسيع هذا المدلول وتعميق هذه المعاني عن طريق الاستئناس بالموافقات الدقيقة والمقارنات العميقة الملحوظة للعلماء المتخصصين والخبراء الباحثين في مجالات الكون والحياة في شتى علومها ومعارفها[1]، ويذهب الدكتور زغلول النجار إلى أنه: سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن الكريم[2].

ثانيا: أهمية الإعجاز العلمي:

ولا يشك مسلم في أهمية العناية بالإعجاز

---

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام "القرآن الكريم"، محمد كامل عبد الصمد: ص(٢٤) (ط٢، ١٤١٦هـ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة).

(٢) قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها: زغلول النجار: ص(٨٦، ٨٧) (ط١، ٢٠٠٦م، نهضة مصر، القاهرة).

العلمي في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة في الحدود العلمية المنضبطة، لما يمثله هذا الجانب من بيان لعظمة هذا الدليل ولما يحمل هذا العلم في طياته من براهين علمية دالة على أنه الحق ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ ﴾ [فصلت:٥٣]، وهذا يشمل الآيات في الآفاق كالآيات التي في السماء والأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، وكذلك الآيات في الأنفس والأبدان من عجيب الصنعة وباهر القدرة(١)، وفي هذا ولا شك امتداد لبينة الرسالة في عصر الكشوفات العلمية، وإذا كان المعاصرون لرسول الله ﷺ قد شاهدوا بأعينهم كثيرا من المعجزات، فإن الله أرى أهل هذه العصور المتأخرة معجزة تتناسب مع عصورهم، ويتبين لهم بها أن القرآن حق وهذا الأمر يتمثل ببينة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وجدير بالإشارة هنا إلى عموم تأثيره وسعة دائرتها حيث تضم كل الناس لا

---

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي: ص(٧٥٢) (ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت).

يتخلف عن التأثر بها عالم ولا جاهل ولا كبير ولا صغير[1].

ولعل مما يؤكد أهمية العناية بالإعجاز العلمي في الكتاب والسنة هو تصحيح مسار العلم التجريبي؛ ذلك أن بعض أربابه حاولوا أن يجعلوه مطية توصل إلى المادة البحتة ومن ثم إلى الإلحاد، وهو لا شك انحراف عن حقيقة الأمر، فالعلم ولا شك هو سبيل يدل البشر على خالقهم جل وعلا .

ومن هنا كانت العناية بمسائل الإعجاز ربط بين العلم والإيمان بالخالق جل وعلا، ومن المعلوم أن الله جل وعلا جعل النظر في المخلوقات والتأمل فيها الذي يعد تحريكا للعقل سبيلا إلى الإيمان به ومعرفته جل وعلا، كما أن تحريك العقل وتحفيزه ودعوته إلى التدبر أوصلته إلى المعرفة والإبداع، فكان

---

(١) الإعجاز العلمي تأصيلا ومنهجا (مقال)، إعداد الأمانة العامة لهيئة الإعجاز العلمي، العدد الأول، عام ١٤٠٦هـ. وانظرها في الشبكة المعلوماتية (الإنترنت) على العنوان التالي:

http://www.nooran.org/0/1/101.htm

الإسلام راعيا للعلم حاثا عليه مؤيدا للنتائج الصحيحة التي وصل إليها وهذا بخلاف ما فعلته الأديان المنحرفة التي حاربت العلم وقتل أساطينها العلماء مما أوجد فجوة بين الدين والعلم لم يزلها ويطوي وحشتها إلا هذا الدين، ليس ذلك فحسب بل جعل العلم دليلا على الخالق جل وعلا[1].

ومما يشار إليه في أهمية العناية بالإعجاز العلمي هو تحفيز المسلمين للاكتشافات الكونية بدوافع إيمانية ليبينوا للناس عظمة هذا الدين، وأنه من عند الإله الحق المستحق للإيمان والخضوع والعبادة، وجعل هذا سبيلا من سبل الدعوة إلى الله تعالى، وسيجد الباحثون المسلمون في ما جاء عن الله جل وعلا الأسرار العجيبة التي سيذهل منها غير المسلمين، لاسيما علماؤهم إذا وجدوا أن الإسلام أشار إلى شيء كثير مما يعد لديهم من المكتشفات الحديثة والقرآن أشار إليه قبل مئات السنين،

---

(١) نفسه.

مما يؤكد على أن هذا وحي من الله جل وعلا، وأنه الحق ليس سواه[1].

هذا شيء من أهمية الإعجاز العلمي، ولا شك أن الحديث عن أهمية الإعجاز حديث طويل لا ينقضي، ولعل في ما أشرنا إليه كفاية في هذا المقام، لكن ما ينبغي التنبيه إليه هو أن الإفراط هو صنو التفريط، وأن كلا طرفي قصد الأمور ذميم، فكما أنه لا يحسن أبدا التغاضي أو الغفلة عن آيات ودلائل الإعجاز العظيمة في آيات القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية أو القول بأن الحقائق العلمية في علوم الطبيعة حقائق متغيرة على الدوام لا ثبات لها فلا يجب أن يكون لها اعتبار في فهم الحقائق الدينية الواردة في الكتاب والسنة وأن لا تستخدم دليلا على الإعجاز العلمي[2]، فكل هذا باطل لا يصح، لكن هذا لا يجعلنا نقبل بحال المبالغة في مسائل الإعجاز، بإلصاق ما ليس من الإعجاز

---

(١) نفسه.

(٢) الإسلام لعصرنا، جعفر شيخ إدريس: ص(٥٦) (ط١، ١٤٢٢هـ، مجلة البيان، الرياض).

بآيات القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، إذ أننا نحتاج إلى التعامل مع هذا الأمر بعلمية دقيقة متأنية تراعي الحقائق العلمية، فلا نلحق بالإعجاز ما ليس منه رغبة منا في لفت أنظار العالمين إلى ديننا أو إلى قرآننا بشكل فيه من التكلف بإخضاع آيات القرآن ولي أعناقها بشكل غير علمي ولا مقبول لأي غرض مهما كان، وهو ما سيناقشه هذا البحث في مباحثه التالية.

المبحث الأول:
من مظاهر الغلو في خطاب علماء الإعجاز

ليس بالضرورة أن يكون الدافع إلى تعجل بعض الباحثين في الإعجاز العلمي في محاولة التوفيق بين بعض الحقائق القرآنية والحقائق أو النظريات أو الفروض العلمية التي أظهرها العلم الحديث في حال عدم صحته نابع من سوء طوية أو فساد نية، بل الغالب فيه عدم روية، إذ مما لا شك فيه أن آراء العلماء في مسائل الإعجاز تعكس عقلية القائلين بها، ذلك أنها وليدة تفكير معين وصدى لحالة نفسية خاصة تمليها التجربة والمعرفة وتجسمها الانطباعات العابرة أو الدائمة العميقة، والقرآن لا تحده الآراء أو النظريات فضلا عن المشاعر والأحاسيس، فهو أوسع وأعمق إذ يحمل معه الثبات الزمني في كل عصر وينفتح صدره بقدر ما تنفتح له الصدور والقلوب والعقول[1].

---

(١) انظر: الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي: ص(٥٥).

ولا شك أن هذا الثبات الزمني يكسره إخضاع حقائق القرآن لنظريات أو فروض علمية لم تثبت بعد لمجرد لمحة أو بارقة أو موافقة ظاهرية، تدفع إلى التوفيق بينها وبين حقائق القرآن حماسة أو عاطفة جياشة؛ منطلقة من محبة للدين واعتقاد نفعه بمثل هذا الفعل فيما لو حصلت الموافقة، وفي النهاية قد تكون النتيجة عكسية مما يعطي تصورا خاطئا بحصول تصادم بين الحقيقة القرآنية مع الحقيقة العلمية والسبب "حقيقة قرآنية أسيء تفسيرها" [1].

ولأجل ذلك كان لا بد من الحذر من إقحام آيات القرآن في موافقات متكلفة، وإخضاع كلام الرب جل وعلا في كتابه لفرضيات أو نظريات علمية ظنية قد تتغير أو تتبدل من خلال تطور العلم والاكتشافات المتتابعة؛ ثم يكون القرآن وآياته قد أصبحت في موضع التحقيق والتدقيق.

وهذا ولا شك إجتراء على النص القرآني

---

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد: ص(٢٨).

بتحميله ما لا يحتمل من تأويل في مجال ينبغي ألا يخاض معتركه إلا بالشكل المناسب، لكون هذا المجال تتجدد في الآراء والنظريات بحسب تجدد البحوث العلمية، فما كان شبه مسلم بالأمس قد يصبح اليوم غير ذلك، ولا شك أن هذا المسلك يعرض القرآن الكريم للتشكيك، ويمهد السبيل لمن في قلبه مرض أن يتقول على كتاب الله، ويثير حوله الشكوك لينفد إلى الطعن في وثاقته وصحته[1]، هذا فضلا عن المتربصين من المستشرقين وغيرهم الذين يختلقون الكذب للتشكيك، فإذا ما وجدوا أقوالا لعلماء مسلمين تتيح لهم الفرصة في الطعن فإنهم لن يدخروا وسعا في توظيفها بشكل يحقق مراميهم وأهدافهم ومن خلال أقوال علماء الإسلام.

ولعل من المعلوم لدى المتخصصين في هذا المجال أن هناك من تأثر بمدرسة قائمة في

---

(١)سيد قطب ومنهج في التفسير، محمد المنتصر الريسوني: ص(١٨١-١٨٢) (ط١، ١٤١٤هـ، مطبعة النور، المغرب).

التفسير لها أثرها في ظهور مبالغات في مسائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إذ أخذوا ببعض مبادئ "المدرسة العقلية" وجعلوا تفسير آيات القرآن الكريم تفسيرا يتلاءم مع كثير من المكتشفات العلمية الحديثة(١)، حتى أنهم أكثروا في آيات الإعجاز وحملوها ما لا تطيق من كل ما يدخل في نطاق العقل وما لا يدخل فيه، بل اعتمدوا في كثير من الأحيان على ما لا يقبله الذوق(٢)، إذ توجه الغلاة إلى محاولة التوفيق بين النصوص القرآنية التي تمثل حقائق ثابتة وبين النظريات التي تسمى علمية، التي هي في الحقيقة شيء آخر غير الحقائق العلمية الثابتة القابلة للتجربة، كتمدد المعادن بالحرارة، وتحول الماء إلى بخار، وتجمده بالبرودة، إلى آخر هذا النوع من

---

(١)منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي: ص(٧٣٣) (ط٤، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت).

(٢)القرآن الكريم (دراسة)، إبراهيم علي أبو خشبة: ص(١٠٨) (ط د، ت د، دار الفكر العربي، القاهرة).

الحقائق العلمية وهي شيء آخر غير النظريات العلمية[1] التي لم تصل إلى أن تكون حقيقة علمية، ولذلك وجدنا من علماء الإسلام من يحمل الآيات القرآنية ما لا تحتمله، ويدخل في تفسيرها من المكتشفات العلمية ما لم تشر إليه، ويبرر بأعذار واهية ومسوغات ضعيفة لا تقوم بها حجة[2].

ولا شك أن هذا المنحى ظاهر التكلف، وهذا المذهب المتنطع الغالي من أخطر المذاهب، إذ هو في حقيقته تلاعب بالآيات، وصرف لها عن حقائقها الثابتة إلى معان لا تثبت إلا بقدر ما تثبت نظريات مكتشفات علمية تهتز يمنة ويسرة، بين الصمود والسقوط، هذا في الآيات التي قد يفهم منها ما أورده في تفسيرها، فما بالك بما لم يوردوه من تفسير لا تحتمله الآي من

---

(١)في ظلال القرآن، سيد قطب: (٢٣٧٦/٤) (ط٧، ١٣٩٨هـ، دار الشروق، القاهرة).

(٢)منهج المدرسة العقلية، فهد الرومي: ص(٧٣٤).

بعيد ولا قريب [1].

والأمر الذي لم يدركه هؤلاء هو أن هذه النظريات العلمية تبقى نظريات تقوم اليوم وقد تنقض غدا، وتقوم نظرية أخرى مكانها لتفسير الظواهر الكونية بغرض آخر يتحول إلى نظرية، فلا ينبغي أن يحمل النص القرآني المستيقن على نظرية غير مستيقنة تقبل اليوم وترفض غدا [2].

(١)نفسه: ص(٧٣٥).

(٢)في ظلال القرآن، سيد قطب: (٤/٢٣٧٥، ٢٣٧٦).

المبحث الثاني:
من أسباب الغلو في خطاب علماء الإعجاز

المتأمل لأطروحات أصحاب الأقوال الغالية المتعجلة من الباحثين في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية يدرك أن هناك أسبابا دفعتهم إلى ذلك التعجل والمبالغة في بعض الأقوال ومحاولة التوفيق التي لا تسندها الحقيقة العلمية فمن ذلك:

ما يعتقده البعض من أن آيات القرآن الكريم قد أوردت كل الحقائق العلمية التي وصل إليها الإنسان بعد اجتهاد دام عشرات السنين، وللقرآن الكريم فضل السبق على العلم، ونشر هذه الحقائق وإثبات معجزة القرآن الكريم العلمية له أثره في محاربة الإلحاد وتثبيت عقيدة الإيمان في النفوس ونشر الدعوة الإسلامية[1].

إذ أنه يمثل أسلوبا فريدا فيها لأنه يستخدم لغة العصر الذي تفجرت فيه المعرفة

---

(١) القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل: ص(٥) (ط د، ١٣٩٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت).

العلمية، فأصبح إظهار موافقة القرآن للعلم مع سبقه بذلك مما يؤثر في المدعوين[1].

وظاهر ما في الكلام السابق من مبالغة منطلقة من حماسة وعاطفة أكثر مما هو منطلق من علم، وهو يحتاج إلى تفصيل؛ فليس كل الحقائق العلمية التي وصل إليها الإنسان قد أوردها القرآن الكريم، ولا يلزم؛ ولم ينزل كتاب الله لأجل هذا، ولا يقلل من شأنه عدم ورودها فيه و التكلف في محاولة إثبات ذلك قد يكون سببا في الصد عن الدعوة الإسلامية لا نشرها، وذلك من خلال الخطأ في تطبيق بعض الآيات على شيء من الحقائق العلمية مما قد يستغله المتربصون في الطعن على كتاب الله ومن ثم على الإسلام ومبادئه وتعاليمه كما أسلفنا.

ويرى آخرون أن هدف المبالغين في إثبات مسائل الإعجاز في القرآن الكريم هو: معرفة أهل الإسلام وأبناؤه بما حواه كتاب الله الكريم من العلوم والكشوفات العلمية؛ التي تؤكد بأن الله

---

(١)قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها، زغلول النجار: ص(٨٧).

ﷺ ما فرط في الكتاب من شيء[1]، وهو ولا شك هدف سام لكنه لا يبرر بحال من الأحوال غلبة العاطفة على الأطروحات في هذا الباب، بل يحتاج إلى طرح متعقل ينطلق من العلم ولا يتجاهله؛ بحيث يكون طرحا عميقا واعيا يدرك المسلم منطلقاته ويعيها بشكل جيد من خلال حسن الطرح وعدم الاكتفاء بالعاطفة في هذا الباب، وذلك لئلا ينعكس ذلك سلبا على القرآن الكريم والإسلام العظيم، فيعطي عنهما صورة سلبية لا تحقق الهدف المنشود بل تحقق ضده، وتجعل المسلم في موقف لا يحسد عليه إذا ما انساق وراء تلك الأطروحات العاطفية.

وفي هذا المقام لا بد من التأكيد على قضية مهمة لا بد أن يدركها كل مسلم لاسيما الغلاة في هذا الباب وهي: أنه لا بد أن يحسن المرء التعامل مع النص القرآني بحيث لا يطغى بجانب من الجوانب التي عني بها النص القرآني على الجوانب الأخرى، وفي ذات السياق لا يجوز بحال من الأحوال أن تربى الأمة على الغفلة عن الأصول

---

(١)منهج المدرسة العقلية، فهد الرومي: ص(٧٣٥).

والأسس العظيمة التي تتضمنها الآيات القرآنية؛ حتى لا يعودون يرون إلا جانبا واحدا منها، فإذا لم يجده لم يلتفت إلى ما سواه، هذا الغلو تمثل لدى البعض في اعتقاد أن تفسير القرآن الكريم بالأساليب التقليدية أصبح لا يكفي في هذا العصر وفي اعتقادهم أيضا أن بعض غير المسلمين ينظرون إلى الإسلام نظرة سطحية؛ ولكن إذا أحيطوا علما بما جاء به القرآن الكريم أو السنة النبوية بما قد أثبته العلوم الحديثة عندئذ يبدأ الاقتناع لديهم[1].

ولا شك أن هذا من المبالغات التي نجد في واقع الدعوة إلى الله تعالى فيما مضى، وأيضا اليوم ما يثبت خلافها، إذ من المؤكد أن تأثر الكثير بما يتضمنه الإسلام من مبادئ خيرة عظيمة، توافق الفطرة أكثر بكثير من نظرهم في المعجزات، أو الموافقات التي أثبتها العلم الحديث، لاسيما ونحن متخلفون جدا في هذا الباب، ثم لا بد من التنبيه إلى قضية غاية في الأهمية في هذا الباب ألا وهي: أن القرآن

---

(١) الإعجاز العلمي، محمد كامل عبد الصمد: ص(١٠).

الكريم ليس كتاب نظريات علمية، ولم يجئ ليكون علما تجريبيا، إنما هو منهج للحياة كلها؛ منهج لتقويم العقل ليعمل وينطلق في حدوده، وقد يشير القرآن أحيانا إلى حقائق كونية نحن نستيقنها لمجرد ورودها في كتاب الله؛ وإن كنا لا نعرف أحيانا تفاصيلها لكننا - وهنا مربط الفرس- لا نجري بالنص وراء أي نظرية ولا نطلب تصديقا للقرآن في نظريات البشر وهو حقيقة مستيقنة[1]، أما إذا ثبت شيء ووصلنا إلى علمه ومعرفته فإننا نبرزه للعالم وندعو الناس إلى معرفته وتأمله.

ولعل من أبرز أسباب الغلو في هذا الباب هو القفزات العلمية المذهلة التي حققها العلم في السنوات المتأخرة، الأمر الذي انبهر به كثير منا لناس حتى سلب ألبابهم وأخذ أفئدتهم، وأصبح يمثل المرجعية المطلقة الموثوقة لدينهم، وهذا الأمر عم المسلم والكافر الكبير والصغير، الأمر الذي دفع بعض علماء مسلمين إلى السعي في الاستفادة من هذا

---

(١)في ظلال القرآن، سيد قطب: (٢٣٧٦/٤).

الانبهار وتوظيفه في إيصال الإسلام إلى العالم، وذلك من خلال تكريس مرجعية العلم دون أي مراجعة وتدقيق؛ مما ترتب عليه ارتفاع قدر العلم بشكل أكبر حتى غدا هو المرجع مما دفع إلى الخوض في تأويلات غير ضرورية لنصوص شرعية ثابتة بحجة أنها تخالف الحقائق العلمية المقررة والأمر أبعد من ذلك[1].

إن التعامل مع كتاب الله على أنه كتاب تضمن النظريات العلمية التي لا بد أن تكون واقعا؛ يجعل المسلم يتعامل معه بشيء من الجفاف مما يفقد كتاب الله الكثير من الروحانية التي يمنحها القرآن الكريم للمتأملين فيه بعيدا عن مادية النظريات، والجمود الطاغي لدى المتعاملين بها الخائضين غمارها.

(١) العلم مفتاح للإعجاز، عدنان محمد فقيه: موقع مكنون:

http://www.maknoon.com.e3jaz/new-page-103.htm

المبحث الثالث: أهمية العناية بدراسة الإعجاز العلمي وتوظيفه في الدعوة إلى الله

عناية علماء الإسلام ودعاته بآيات الله في الكون وإعجازها الباهر، ومحاولة لفت أنظار المدعوين إليها، والتأثير عليهم بها لسلوك المنهج الحق وقبول دعوة الإسلام هو في حقيقته منهج عظيم من مناهج الدعوة إلى الله التي سلكها القرآن في التعريف بالله والدعوة إلى الإيمان به، وآيات الإعجاز في القرآن الكريم الداعية إلى النظر في آيات الله وتأملها كثيرة متعددة متنوعة مما جعل علماء الدعوة إلى الله يجعلون من مناهج الدعوة إلى الله تعالى: المنهج الحسي أو التجريبي الذي يعرفونه بأنه: النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس ويعتمد على المشاهدات والتجارب[1].

ولعل من أعظم الآيات في ذلك -وكل كلام الله عظيم- قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣]، ولا شك

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني: ص(٢١٤) (ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت).

أن هذا المنهج المتمثل بالأمور المشاهدة المحسوسة له أثره في النفوس البشرية، وسرعة تأثيره عليها، كما أنه يشمل الناس جميعا، إذ الكل يدرك هذه المحسوسات، ويشعر بها لا يتخلف عن ذلك كبير ولا صغير ولا عالم ولا جاهل[1]، ولأجل ذلك أيد الله أنبياءه ورسله بالآيات الباهرات والمعجزات التي ألجمت الخصوم، وأذعن لها طالب الحق والبيان.

وعلى الرغم من ذلك كله لا بد من أن يؤخذ هذا الأمر بعناية، ويتناول بحرص وتؤدة وذلك لأمور:

أولها: أن كلا طرفي قصد الأمور ذميم، فإغفال هذا المنهج وتجاوزه أمر مذموم، وتجاهل لأمر بالغ الأهمية؛ انتهجه الأنبياء.

والرسل -عليهم الصلاة والسلام- في دعوتهم لأقوامهم، كما أن المبالغة فيه واعتقاد أنه لم يعد منهج يمكن دعوة الناس به إلى الحق إلا هو؛ وأن بقية المناهج أصبحت في هذا العصر لا

---

(١) نفسه: ص(٢١٨).

تكفي[1]، بل ذهب البعض إلى أنه لم يبق أمام أهل عصرنا من وسيلة مقنعة بالدين الإسلامي الحنيف قدر إقناع الإعجاز العلمي في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[2]، وأنه يجب الاعتماد عليه؛ كل هذا دفع البعض إلى طرح المبالغات في هذا الجانب، من محاولة إخضاع آيات القرآن الكريم للمكتشفات العلمية الحديثة، ولي أعناق الآيات لأجل أن توافق شيئا منها، مما يثبت بعد فترة وجيزة أن ذلك المكتشف كان مجرد فرض أو نظرية؛ جاءت بعدها نظرية أخرى كشفت عدم دقة سابقتها؛ مما يجعل لبعض الجاهلين مطاعن على دين الإسلام بغض النظر عن خطأ القائل بها، فالمتربصون يكيدون للدين مستغلين جهل أبنائه أو تعجلهم في مثل هذه الأمور.

الأمر الثاني: هو أننا نتفق أن إدراك هذه قضايا -أعني قضايا الإعجاز العلمي- لا يدركها كل الدعاة؛ لتطور المكتشفات وتتابعها، كما

---

(١)قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها، زغلول النجار: ص(٩٩).

(٢)الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد: ص(١٠).

أنها تحتاج إلى خبرة واختصاص في الكشف عنها وبيانها للناس، وهذا أمر لا يحسنه جميع الدعاة، لاسيما إذا كانت الدعوة لطبقة العلماء المتخصصين في العلوم التطبيقية، إذ الأمر يحتاج إلى معرفة عميقة مبنية على دراسة متأنية قد تمتد لعدد سنين، لا يغني عنها مجرد قراءة مقال أو بحث أو كتاب، وهذا الأمر يجعل استخدام مسائل الإعجاز الدقيقة التي تمثلها الكشوفات العلمية الحديثة وموافقتها لما جاء في كتاب الله تعالى أمرا فيه شيء من الصعوبة، ولا يدخل في هذا الإشارة والتنبيه إلى الآيات العامة والمعجزات الظاهرة في هذا الكون كالشمس والقمر والنجوم والبحار وعظمتها مما أشار القرآن الكريم إليه في آياته وسوره؛ فهذا أمر يدركه الجميع وهو متاح محسوس.

وأمر ثالث بالغ الأهمية: وهو أن منهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لم يكن يعتمد بشكل كبير على هذا المنهج -المنهج الحسي- ، فكل نبي ممن كان له معجزة -إذ بعضهم لم يكن له معجزة- برز بمعجزة واحدة في الغالب، ولعل لذلك حكم بالغة عظيمة منها: أن المعرض عنها

بعد ظهور الآيات المحسوسات يعرض نفسه لخطر عظيم، إذ هو يثبت على نفسه أنه معاند مصر على باطله، غير قابل للحق رغم ظهوره، ومثل هذا متوعد بالعذاب والنكال، يقول تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:١١٤-١١٥]، فتأمل تضمن الآيات الوعيد الشديد في إجابة الله لطلب عيسى عليه السلام وهو ليس وعيدا معتادا بل أفظع وعيد ما نزل به وحي الله[1] ﴿ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وأي عذاب أشد من طمس البصيرة حيث يرى الحق ظاهرا شاهرا، فلا يحرك فيه ساكنا ولا يؤثر فيه البتة، فكأنه لم ير شيئا، الآية الباهرة والمعجزة القاهرة لا تعني لصاحب العقل المطموس والبصيرة الخاملة شيئا بذكر الأمر الذي يسوقه إلى عذاب الله تعالى وسخطه في

---

(١)صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن الدوسري: (٥١١/٩) (ط١، ١٤٢٥هـ، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض).

الدنيا والآخرة.

الأمر الرابع: أن المتأمل لدعوة الإسلام يجدها تتميز بالسهولة و القرب من القلوب، فهي تعتمد على الفطر السليمة، إذ هي مغروسة أصلا في فطر البشر وفي الحديث المشهور ((كل مولود يولد على الفطرة))، كما أن الاستفادة من العلوم المادية والاكتشافات العلمية أمر محمود يسير وفق منهج القرآن الكريم بلا شك؛ لكن المحظور هو الإغراق في ذلك وتحويل الدعوة إلى الإسلام من صفتها العامة الروحية إلى صبغة مادية، تعتمد على نتاج العلم المادي، والاختراعات والكشوف العلمية المبنية على المادة مما يفقد هذه الدعوة الإسلامية روحانيتها، وعبقها الإيماني المتميز وينحو بها إلى المادية التي قد لا تكون محمودة بكل حال.

الأمر الخامس: لا شك في أهمية الاستفادة من الكشوفات العلمية، والإعجاز العلمي في دعوة الناس وإرشادهم إلى خالقهم وخالق الكون؛ لكن المتأمل لواقع المهتدين الجدد للإسلام من مختلف أصقاع المعمورة؛ يدرك أن هداية أغلب

هؤلاء كانت بسبب ما تضمنته مبادئ الإسلام من موافقة للفطرة والعقل الذي لا يزال يبحث عن إجابة لتساؤلات تعرض له لا يجد أجوبتها المقنعة إلا فيما تضمنته مبادئ الإسلام، وهذا الأمر ظاهر ومعلوم، وإذا كان العلماء المتخصصون في العلوم التطبيقية بشتى تخصصاتها يستفيدون من مثل هذا المنهج فهذا لا يعني بالضرورة عناية غيرهم به، إضافة إلى أن الأعم الأغلب من المدعوين هم من العوام أو المتعلمين الذين لا يصلون إلى درجة أولئك المتخصصين، وقد لا يكون لديهم عناية بمسائل الإعجاز مما قد يضعف تأثرهم بها.

الخاتمة
وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات

بفضل الله ومنته تم هذا البحث الذي تناول جوانب من الخلل في خطاب علماء الإعجاز العلمي في الإسلام وأسباب وقوعها، وبعد نهايته خلصت إلى النتائج التالية:

١) أهمية خطاب الإعجاز العلمي وأنه وسيلة جليلة من وسائل الدعوة إلى الله وأن العلماء المسلمون قد حققوا نجاحا متميزا في هذا الباب.

٢) هناك خلل في خطاب الإعجاز العلمي في الإسلام ويأتي من جانب الغلو والمبالغة، وتغلب العاطفة والحماسة على العلمية.

٣) أن الخلل في ذلك الخطاب سببه الضعف الشرعي لدى أغلب الباحثين بجوانب الإعجاز؛ إذ يغلب على تخصصاتهم الجوانب العلمية التجريبية.

٤) أن العناية بأمر الدعوة إلى الله تعالى لا تسوغ بحال من الأحوال ما يقع في خطاب بعض الباحثين من خلل وتعجل ومبالغة وتكلف في التوفيق.

أما التوصيات التي خلصت إليها فهي على النحو التالي:

١) لا بد من وجود مرجعية علمية ملزمة للباحثين في الإعجاز العلمي في الإسلام لا يقبل بحث إلا من خلالها، ولا تعتمد دراسة إلا بموافقتها، على أن تجمع هذه المرجعية علماء في الشريعة إلى جانب علماء في العلوم التجريبية.

٢) لا بد من العناية بالإعجاز العلمي في الإسلام والعمل على نشر وتدريس هذا العلم وإيجاد التخصصات العلمية الأكاديمية له، وجعله كمقررات دراسية في الكليات والنظرية والتطبيقية ليستفيد من علومه أبناء الإسلام ويستعينون به في الدعوة إلى الله.

٣) لا بد من السعي الجاد في تأصيل هذا العلم ونشر الكتب التي تعنى بهذا الجانب، والاتفاق على ضوابط علمية يلتزم بها الباحثون في هذا العلم، كما لا بد من التصدي للعابثين وعدم السماح لهم

بالوسائل المتاحة بالانحراف بهذا العلم عن وجهته الصحيحة.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما كثيرا ..

فهرس المصادر والمراجع

.الإسلام لعصرنا: جعفر شيخ إدريس، ط١، ١٤٢٢هـ، مجلة البيان، الرياض.

.الإعجاز العلمي تأصيلا ومنهجا (مقال): إعداد الأمانة العامة لهيئة الإعجاز العلمي، العدد الأول، عام ١٤٠٦هـ. وانظرها في الشبكة المعلوماتية (الإنترنت) على العنوان التالي: http://www.nooran.org/0/1/101.htm

.الإعجاز العلمي في الإسلام "القرآن الكريم": محمد كامل عبد الصمد، ط٢، ١٤١٦هـ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

.الإعجاز الفني في القرآن: عمر السلامي، ط د، ١٩٨٠م، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس.

.تجديد الفكر الإسلامي: الحسن العلمي، ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

.سيد قطب ومنهج في التفسير: محمد المنتصر الريسوني، ط١، ١٤١٤هـ، مطبعة النور، المغرب.

.صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم: عبد الرحمن الدوسري، ط١، ١٤٢٥هـ، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض.

.العلم مفتاح للإعجاز: عدنان محمد فقيه، موقع مكنون:

http://www.maknoon.com.e3jaz/new-page-103.htm

.في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٧، ١٣٩٨هـ، دار الشروق، القاهرة.

.القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط٢، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

.القرآن الكريم (دراسة): إبراهيم علي أبو خشبة، ط د، ت د، دار الفكر العربي، القاهرة.

.القرآن والعلم الحديث: عبد الرزاق نوفل، ط د، ١٣٩٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

.قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها : زغلول النجار، ط١، ٢٠٠٦م، نهضة مصر، القاهرة.

.المدخل إلى علم الدعوة: محمد أبو الفتح البيانوني، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

.معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس الرازي، ط١، ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

.منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي، ط٤، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

فهرس محتويات البحث

المقدمة ١
تمهيد :
تعريف الإعجاز وأهميته في الإسلام ٥
أولا: تعريف الإعجاز العلمي: ٥
ثانيا : أهمية الإعجاز العلمي: ٦
المبحث الأول: من مظاهر الغلو في خطاب علماء الإعجاز ١٢
المبحث الثاني: من أسباب الغلو في خطاب علماء الإعجاز .١٨
المبحث الثالث: أهمية العناية بدراسة الإعجاز العلمي وتوظيفه في الدعوة إلى الله ٢٤
الخاتمة وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات ٣١
فهرس المصادر والمراجع ٣٤
فهرس محتويات البحث ٣٧